رقم الايداع الدولي: ISSN:2170-1490

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية اللغات والآداب

جامعة ابن خلدون تيارت

مجلة البحث

دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات النحوية واللغوية
بين التراث والحداثة

العدد السابع
جانفي 2014

مخبر الدراسات النحوية و اللغوية بين التراث و الحداثة - جامعة ابن خلدون - تيارت - وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

التطبيقات الثنائية في بناء الوظيفة التواصلية داخل النظام اللغوي.

ثنائية التطبيق (صوت / بنية لفظية) أنموذجا.

أ. بن جلول مختار – جامعة البليدة

توطئة :

إن إشكالية الشفرة اللغوية إشكالية ذات أبعاد متعددة، تتوزع على ثلاثة محاور كبرى تعتبر دعائم الخطاب اللغوي؛ هذه المحاور تدور في فلك الخطاب، وصاحب الخطاب، والمتلقي.

فالخطاب يخضع للغة واللسان، وصاحب الخطاب والمتلقي يخضعان للزمكنة من جهة، وللتنشئة الاجتماعية من جهة أخرى. وهنا نكون أمام عدة تطبيقات فعلية بين مجموعات من الثنائيات المتواجهة؛ مجموعة الانطلاق ومجموعة الوصول، فيمكن أن تكون العلاقة بين كل مجموعة وأخرى متباينة أو غامرة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون تقابلية؛ أي أنه من المستحيل تطابق مجموعة الانطلاق ومجموعة الوصول، لأن كل التطبيقات تخضع للارتياب بينها وبين جانبها النظري، ونقصد بالارتياب هنا زاوية الانزياح، أو لنقل درجة الانحراف. وهذا ما يعبر عنه بنسبية العلاقات بين شكلي الظاهرة نفسها؛ الشكل الفلسفي والشكل العلمي؛ النظري والإجرائي.

وعليه فإن آليات بناء النص وهدمه بشقيها الداخلي والخارجي، تشكل حجر الزاوية في هذا الصدد بين فاعلي النص؛ الباث والمتلقي، حيث أنه لابد من إيجاد مجال التقاطع بينهما قصد إحداث نوع من التعايش داخل فضاء النص للوصول إلى صيغة توفيقية بين ما قصده الباث وما سيتوصل إليه المتلقي، وهنا نجد أنفسنا أمام إشكالية بصمة النظام الكلامي التي ما هي إلا **عملية انتقاء حرة من الكلمات ليؤلف بينها في جمل وفق النظام التركيبي للغة، غير أن المتكلم ليس فاعلا حرا تماما في اختيار كلماته، فانتقاؤه يتم من خلال المخزون المعجمي الذي يشترك فيه مع المتلقي**[1]، معنى ذلك أنه من غير الممكن أن تكون البصمتان متطابقتين، فلكل منهما فضاء (زمن – مكان) مختلف عن الآخر، كما أن لكل منهما تنشئة اجتماعية مخالفة للآخر. هذا فيما يخص بنية النظام اللغوي من حيث الآليات الخارجية، أما ما يتعلق بالنظام الداخلي، ونعني به أنظمة مستويات اللغة، فإنه وحتى وإن بدا للوهلة الأولى

---

[1] ينظر : أساسيات اللغة، رومان جاكبسون وموريس هالة، ت : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي

معياري التشكيل، فإن أجرأته وتطبيقه يجعلانه مادة زئبقية تتشكل داخلها بنية الخطاب متأثرا بالحال والسياق اللذان يمثلان بحق مخاض الخطاب.

وفي هذه المداخلة سنركز على مستوى واحد من هذه المستويات وهو المستوى المورفولوجي (البنية الصرفية) وكيف يؤثر فيه كل من المستوى الأدنى منه الفونولوجي (الصوتي)، والأعلى منه السنتاكسي (التركيبي النحوي)، وكذلك سنتحدث عن العلاقة التركيبية (Rapports syntagmatique) على المحور الأفقي، والعلاقة الترابطية (Rapports paradigmatique) على المحور العمودي، للوحدات اللسانية بين كل من الباث والمتلقي، كما سنبحث عن كيفية تحديد معيار الانحراف بين التشكيلات اللغوية المتماثلة بين كل من صاحب النص والمتلقي لاحداث فضاء توافقي تحيا فيه كل من ذخيرة الباث و المتلقي.

ولا ضير في تحديد جملة من التطبيقات الأخرى غير تلك التي تعتبر مناط المداخلة؛ أي (الصوت / البنية اللفظية)، وهي على النحو التالي :

I. **الخطاب.**

✓ التطبيق الأول :اللغة / اللسان.

- التطبيقات الفرعية (مستويات اللغة) :

❖ الصوت / البنية اللفظية (**الثنائية الأنموذج مناط المداخلة**)

❖ الصوت / التركيب النحوي

❖ البنية اللفظية / التركيب النحوي

- التطبيقات الفرعية (وظائف اللغة) :[1]

❖ اللغة (وصفية تفسيرية) / الرسالة (جمالية)

II. **صاحب الخطاب والمتلقي.**

1. **المكان و الزمن.**

✓ التطبيق الثاني :اللغة / صاحب الخطاب أو المتلقي.

- التطبيقات الفرعية (وظائف اللغة) :

❖ اللغة (وصفية تفسيرية) / المرسل (انفعالية) المرسل إليه (تأثيرية)

✓ التطبيق الثالث : اللسان / صاحب الخطاب أو المتلقي.

- التطبيقات الفرعية (وظائف اللغة) :

---

[1] ينظر : JAKOBSON, R. : « Linguistique et poétique », Essais de linguistique générale, Paris, Minuit, 1963. p. 209-248.

- ❖ الرسالة (جمالية) / المرسل (انفعالية) المرسل إليه (تأثيرية)
- ❖ القناة (حفاظية) / المرسل (انفعالية) المرسل إليه (تأثيرية)

2. التنشئة الاجتماعية.

- ✓ التطبيق الرابع : الكلام / صاحب الخطاب أو المتلقي.
- التطبيقات الفرعية (وظائف اللغة) :
- ❖ الرسالة (جمالية) / المرسل (انفعالية) المرسل إليه (تأثيرية)
- ❖ المرجع (مرجعية) / المرسل (انفعالية) المرسل إليه (تأثيرية)
- ✓ التطبيق الخامس : صاحب الخطاب / المتلقي.
- التطبيقات الفرعية (وظائف اللغة) :
- ❖ المرسل (انفعالية) / المرسل إليه (تأثيرية)

مدخل :

لابد للفعل القرائي للنص أن يقر بأنه يحاول الاقتراب من مدلولات النص، وذلك من خلال منهجه الوصفي لظاهرة توظيف اللسان داخل نظام علائقي بين عناصر الحدث التواصلي بعيدا عن التصورات المسبقة، والأحكام الصادرة اتجاهه قبل الدخول إليه[1]، فهو يعمل على إيجاد صيغة توافقية بين مقصدية الخطاب وما سيتوصل إليه القارئ، وليس بالضرورة أن يكون هناك توافقا بالمرة، فقد تكون زاوية الانفراج كبيرة بينهما؛ إما لتباين في هيكلة النظام اللغوي بين قطبي التخاطب، أو لاختلاف المرجعية في تصور الإطار العام لمضمون الخطاب.

وبما أن اللغة نظام صوتي بالدرجة الأولى، بنيوي بالدرجة الثانية، وتركيبي بالدرجة الثالثة، فإن التحكم في تقنية كل نظام يتدخل بشكل مباشر في بناء الخطاب، وفي عملية هدمه وإعادة صياغته، لذلك لابد من اكتساب مهارات الإجراءات الأدائية لهذه المكونات اللسانية وتحويلها إلى كفاءات يتم من خلالها تشكيل الخطاب وتفكيكه، وليس هذا فحسب؛ بل لابد من رصد مجالات التداخل بين كل مستوى ومستوى، لان العلاقة بين هذه المستويات علاقة عضوية تشكل في النهاية جسدا متكاملا لا يمكن رؤية مستوى دون مستوى آخر، إننا سنرى في النهاية انصهار هذه المستويات في بوتقة واحدة لتشكل الخطاب.

---

[1] دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص

هذا ما دعت إليه اللسانيات البنيوية، فقد تأثرت بطبيعة تركيب المادة في فيزياء أنتشتاين، «**حيث لم تعد النظرة " العلمية " إلى الأشياء نظرة جزئية تصل إلى معرفة " الكل " من خلال الجزء وخصائصه، فلا الجزء هو نفسه مع الكل ولا الكل هو مجرد مجموع أجزائه فقط.**»[1] إذا هناك فضاءات أخرى تساهم في أنتاج الكل المتكامل من هذه الجزيئات، فتكامل الأجزاء ليس استجماع تركيبي يمكن رصد الفواصل بين كل جزئية وأخرى؛ إنما «**هو العلاقة التي تسود بين الأجزاء وتحدد النظام الذي تتبعه الأجزاء في ترابطها والقوانين التي تنجم عن هذه العلاقة وتسهم في بنيتها في الوقت نفسه.** »[2] فبالإضافة إلى البنيات الظاهرة والملموسة، كالبنية الصوتية، والبنية الصرفية، وغيرهما، هناك بنيات باطنية لا ترى ولا تلمس، إنها «**مجموعة علاقات تتبع نظاما معينا مخصوصا.**»[3] ومما يمكن ملاحظته هنا التحول الجذري الذي حدث في المنهج المعرفي، فقد تغيرت النظرة للإبداع، من محاولة معرفة ماهيته وكنهه إلى البحث عن الكيفية التي يتم بها استجماعه وتشكله في وحدة متكاملة لا ترى الأجزاء فيها البتة.

إن هذا التحول في علم اللغة أحدث تباينا ملحوظا في إدراك مفهوم اللغة بين اللسانيات البنيوية «**والنظريات التي سادت قبلها خاصة نظرية المحاكاة والنظرية التعبيرية الرومانطيقية. كما تغير مفهوم العالم واللغة وترابطت الأمور وتشابكت. فلم يعد العالم الخارجي معزولا عن اللغة التي تصفه ولا هو مجرد تجربة انطبعت في الدماغ نستطيع تمثيلها بتجرد تام من بعد.**»[4]

إن جدلية الخطاب بين المبدع والمتلقي،لم تعد لعبة أحجيات، يخفي فيها صاحب الخطاب معانيه في تشكيلات لفظية يعمل فيها جملة من التقنيات اللغوية المكتسبة وكثيرا من الموروثات الثقافية، والإيديولوجيات والمعتقدات، يطلب من المتلقي فك شفراتها. قد يكون هذا ممكنا إذا ما لم نتجاوز نحو الجملة، باعتبار إمكانية معياريته؛ فما الاستعارة والكناية والحذف و ما إلى ذلك من التراكيب البلاغية، إلا لعبة متاهات. أما وأننا بصدد نحو النص فإن الآمر بخلاف ذلك تماما، «**فما نعرفه من العالم يتم تحديده من خلال اللغة المستخدمة في تحديده. وبهذا لم تعد اللغة وسيلة سلبية لنقل الأفكار والمفاهيم القبلية؛ إنما هي الأساس الفاعل المنتج لهذه المفاهيم التي تنتقل بواسطتنا.** »[5]

إن المبدع يحيلنا من خلال النص إلى تجليات الواقع من خلال نظام تشفير لغوي ليس القصد منه صناعة واقع افتراضي؛ إنما الغرض منه نقل الواقع ذاته، من خلال صور خيالية تتشكل داخل

---

[1] دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، . ص 68
[2] المصدر نفسه، ص 68
[3] المصدر نفسه، . ص 68
[4] المصدر نفسه، ص 68
[5] المصدر نفسه، ص 68

الترابط اللغوي، لذلك ليس المبدع وحده المسؤول عن هذا التصور؛ إنما يشاركه المتلقي في بناء هذا الواقع الذي ترتسم معالمه في ثلاث فضاءات فضاء المبدع وفضاء اللغة وفضاء المتلقي. فالخطاب ليس مجرد ألفاظ متراصة، وتراكيب متسقة، إنما هو عملية تصوير للمعاني والأخيلة،[1] ومما يمكن ملاحظته هنا أن هذا التصوير يكون منثورا في مخيلتي كل من المبدع والمتلقي، بحيث يقدر كل واحد منها على تصور الجزء الآخر من الصورة الموجود في مخيلة مقابله، «**بحيث يريك جانبا من المعنى أو الصورة. ثم يدع لذهنك أن يستلهم بقيتها، ويترك لخيالك أن ينطلق فيكمل ذلك الجانب من الصورة. حتى لا يأخذ على خاطرك الطريق ولا يقف به امام التعبير المسهب المبسوط.** »[2]

ويضرب لنا سيد قطب مثالا في غاية الروعة يجعلنا واقفين على هذه الحقيقة، يذكر قول الشاعر عمر ابن أبي ربيعة :

إن خير النساء عندي طرا　　من تواتي بوصلها ما هوينا

فاذكري العهد والمواثيق منا　　يوم آليت لا تطيعين فينا

يرى سيد أن حذف المفعول المتعلق بالفعل أطاع أحدث غموضا يجعل من المتلقي الغوص في أعماق النص والبحث عن هذا المحذوف، بحيث يجعل نفسه؛ أي المتلقي، مشاركا في بناء الخطاب. ولكن حين ذكر المفعول به في البيت الموالي الذي يقول فيه الشاعر :

قول واش أتاك عنا بصرم　　أو نصيح يريد أن تقطعينا

فقَدَ الخطاب هذا الجمال، لأننا «**كنا في غنى عن ذكر المفعول، الذي لم يأتينا بشيء جديد من عنده، فقد فهمنا من " يوم آليت لا تطيعين فينا " أنها لن تطيع قول واش ولا نصيح وأحسسنا ما هو أكبر من ذلك، وهو أنها غير مستعدة أن تستمع مجرد استماع لمن يحدثها فيه.** »[3]

وحين نتحدث عن الخيال لابد أن لا نراه ابتعادا عن الحقيقة المجردة والمدركة؛ إنما الخيال «**صلة ما بين الإنسان القاصر والحقيقة المحجبة، التي تدق على الإفهام، فينبعث الخيال ليقرب هذه الحقيقة. وهو من ناحية أخرى صلة ما بين الإنسان وآماله البعيدة، التي لا يحققها له الواقع.**»[4]

إن المبدع الحق هو الذي يستشعر حقائق الأمور وجواهرها؛ لا شكلياتها وتفاهاتها، فهو ليس وسيطا ضروريا بين المعرفة والمتلقي؛ إنما هو موجه للمتلقي، فهذا الأخير لو لم يكن مستعدا للخطاب من خلال مكتسبات قبلية شكل من خلالها أرضيته خصبة لما هو بصدد تلقيه، لما استطاع التجاوب

---

[1] ينظر : محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، سيد قطب، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، ط 1، 1996، ص 63

[2] محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، سيد قطب، ص 63

[3] المرجع السابق، ص 64

[4] محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، سيد قطب، ص 32

معه، لذلك لابد أن يكون الخطاب واقعيا كمرآة عاكسة له، ولكن في نفس الوقت لا يستوجب استحضار منافذ الإدراك الحسي لاستشعاره، فلابد أن يكون حول تأثيرات الأحداث الواقعية على النفس البشريه، لابد أن تكون الصور «ما وراء الماديات المحسوسة،.....»[1].

وفي هذا الصدد يضرب لنا صاحب كتاب محمة الشاعر في الحياة نموذجين مختلفين لبناء الخطاب، أحدهما شكلي لا أدبية فيه «**يحدثك عن حبيبته ..... اللون قمحي، والعيون عسلية، والعنق كذا، والرجل والذراع والخصر والجيد ... إلخ. فهذه الحبيبة في نظره عبارة عن هذه الأشلاء الممزقة من العيون والخدود والنحور، والأرداف والخصور. وهي ليست إنسانة حية، يشملها معنى روحي واحد .... هي في نظره كتلة لا قوة، فهو يعبر عنها بالوزن والقياس، لا بالحس والشعور، فهو ليس محبا لهذه المخلوقة، ولكن موكل فقط بوصف ظواهرها، التي يراها كل إنسان.**»[2] يرى صاحب الكتاب أن محمة المبدع هنا أن ينقل أثر هذا المخلوق على نفسه لا أن يمزقها تمزيقا.

أما النموذج الثاني الذي استحسنه واعتبره مثلا أعلى أبياتا للعقاد قال فيها :

يا رجائي وسلوتي و عزائي ... وأليفي إذا اجتواني الاليف
نبئيني فلست أعلم ماذا ... منك قلبي بحسنه مشغوف
كل حسن أراك أكبر منه ... ان معناك تالد وطريف
لست أهواك للجمال و إن كا ... ن جميلا ذاك المحيا العفيف
لست أهواك للذكاء و إن كا ... ن ذكاء يذكي النهى ويشوف
لست أهواك للدلال و إن كا ... ن ظريفا يصبو إليه الظريف
لست أهواك للخصال و إن رف ... علينا منهن ظل وريف
أنا أهواك أنت فلا شيء ... سوى أنت بالفؤاد يطيف

يرى سيد قطب أن الخطاب هنا تجاوز منافذ الإدراك الحسي، إلى منفذ الإدراك العقلي، فهو يشير إلى ما اعتبره صاحب الخطاب مواطن التعلق الموجودة في المحبوب، إلا أن حبه وتعلقه بها لم يكن لأجل هذه المحاسن، إنما كان لأجل «**وحدة جامعة، وروح شاملة، تدركها النفس أكثر مما تدركها الحواس.**»[3] فكما أن حقيقة المعاني لابد أن تكون متراصة في الذهن، فالألفاظ لابد أن تكون كذلك على مستوى التشكيل؛ إذ انه لابد من المساواة بين الصدفين لتكتمل ملامح الصورة الذهنية لدى صاحب الخطاب كانعكاس للصورة الوجودية، ومن ثم تنطبع في ذهن المتلقي من خلال الصورة اللغوية.

---

[1] محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، سيد قطب، ص 15
[2] المرجع نفسه، ص 16 -17
[3] محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، سيد قطب، ص 18

كل هذا يكون من خلال اتحاد جميع الوظائف المشكلة للظاهرة اللغوية داخل جميع مستوياتها، ولا يمكننا رصد جميع تلك التفاعلات بين كل ثنائية وثنائية حرصا منا على الوقت المحددة لهذه المداخلة، وعليه كان اقتصارنا على ثنائية واحدة وهي الناتجة عن المستوى المورفولوجي (الصرفي)، ولا ضير في أن نشير بين الفينة والفينة إلى علاقته بما تحته وما فوقه من المستويات.

ثنائية البنية اللفظية (الباث / المتلقي)

ليست مقصدية الخطاب سوى استجماع لما يسمى بالدلالات الجزئية المبنية على مستويات اللغة، فكل مستوى يحمل من خلال هيئته دلالة لا يمكن لها أن تكون سوية إلا إذا تماثلت ودلالة الخطاب العامة، فطبيعة كل خطاب تقتضي أجزأة وهيكلة خاصة لأن كل الموجودات سواء كانت مادية أو معنوية تكل فيما بينها تماثلات.

فما الأصوات المهموسة إلا دلالة على الأفعال المرهفة، وما البقية إلا دلالة على ما استعصى فعله، وقد ذكر ابن جني في الخصائص في باب الاشتقاق الأكبر أن مجموع فئة من الأصوات داخل اللفظة الواحدة الدالة على معنى معين فإنها مهما اختلفت مواقعها لتشكل لفظة ثانية، بقيت تحمل المعنى العام للفظة السابقة مع تغيير في الطريقة أو ما إلى ذلك من الاختلافات القائمة بين الأحداث، " **نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك)، وكذلك (ق و ل) (ق ل و) (و ق ل) (و ل ق) (ل ق و) (ل ق و) ..... وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة، وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة.**"[1]

كذلك بنية اللفظة تحمل دلالة صيغتها فما اسم الفاعل إلى دلالة بمجرد صيغته فهو الدال على المحدث للفعل، يقول الله تعالى في سورة الحج الآية الثانية "**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**"[2]فاسم الفاعل مرضعة أنث مع جواز تذكيره لعدم اشتراكالذكر والأنثى فيه، فقد توصف المرأة بالمرضع، كما توصف بالحامل، والقاعد، والحائض، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " **لا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاةَ حَائِضٍ إِلاَّ بِخِمَارٍ.**"[3]، ففي قوله تعالى يقصد الله المرأة التي تكون حالة الرضاع لا التي من صفاتها الرضاعة؛ قال الزمخشري " **المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع :**

---

[1] الخصائص، ابن جني، ت : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د ت، ج 2، ص 134-135

[2] سورة الحج الآية 02

[3] صحيح سنن ابن ماجه - 13560المشرف : الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج – ط1، 1407 هـ

التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به."[1] ولنا أن نلتمس الغرض من ذلك وهو حالة الفزع من هول القيامة لدرجة أن الأم تتخلى عن رضيعها، فهذه الدلالة نلتمسها من صيغة اللفظة الصرفية.

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم ففيه إشارة للصفة الملازمة للمرأة من خلال تذكير اسم الفاعل، فهو يقصد البالغة من علامة الحيض، فلو قال الحائضة بالتأنيث لجاز للحائض أن تصلي، وجاز لغيرها أن تصلي بلا خمار، وهذا ما لا يقره القرآن الكريم، إذن من خلال الصيغة الصرفية التمسنا هذا الحكم الفقهي الذي انبنى على الدلالة اللغوية.

اعترض أعربي على قراءة أحد المسلمين لقوله تعالى" **وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**"[2] بقراءته لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بفتح تاء المضارعة، قال الأعرابي معترضا على ذلك بقوله : ولن ننكحهم ولو آمنوا.

فلما رفع الأمر للنبي وقرأ عليه بذلك الخطأ صحح وقال للمسلم إقرأ ولا تنكحوا المشركين بضم تاء المضارعة، فقال الأعرابي الآن استوى الكلام. هذا الفونيم (الحركة الصائتة) غيرت دلالة اللفظة من التعدية للأصل، فالفعل الوارد في الآية من الفعل أنكح و الخطأ الوارد من القارئ من الفعل نكح، ولا يعقل أن ينكح الرجل الرجل، فمن الصيغة الصرفية تمكنا من الوقوف على الدلالة اللغوية، في حين لو كان الخطاب موجه للنساء لقيل ولا تنكحن المشركين بفتح تاء المضارعة، وكان الكلام صحيحا لكن نفقد حكما شرعيا وهو الولي في النكاح، فالخطاب موجه للرجل دون المرأة وفيه دلالة على أن المرأة لا تنكح إلا بولي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.**"[3]

قيل للنبي هذا القاتل فما بال المقتول، فقال النبي : أراد قتل صاحبه. الملاحظ في تكملة الحديث جاءت من خلال استفسار المتلقي للحديث، أي أنه لو لم يسأل لما أضاف النبي هذه التكملة، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن هذه الدلالة ضمن الفقرة الأولى من الحديث، وهذا بيانها إن شاء الله.

---

[1] الكشاف عن حائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ت : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد عوض، وآخر مشارك د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج4، ص 174

[2] سورة البقرة الآية 221

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، دط، 1986، رقم الحديث 6672

استعمل النبي الفعل " **إلتقى** " وهو ثلاثي مزيد بحرفين على وزن " **إفتعل** " أي يقصد النبي إفتعال القتل، فلو صغنا من القتل فعلا على هذا الوزن لصار عندنا الفعل " **إقتتل** " أي يمكن قراءة الحديث بهذه الصيغة : إذا اقتتل المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. ألا ترى أن الفاعل هنا هو المسلمان معا؛ أي كلاهما فاعل للقتل، فمن دون الزيادة التي أضافها النبي لإشباع الجوع اللغوي للسائل، المعنى مكتمل هذا من الدلالة الصرفية للصيغة المستعملة، وهنا يظهر أن العناصر اللغوية لا سيما الصرفية منها من مجموعة الانطلاق (النبي صلى الله عليه وسلم) إلى مجموعة المتلقي (السائل) تشكل تطبيقا متباينا؛ إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من إدراكه لاحتواء كلامه على المعنى إلا انه لم يعترض ولم يسجل دهشته لأنه يدرك أن من افتقر لهذه الآليات اللغوية سيكون مستحيل عليه فهم الخطاب.

الصوت والحرف :

لقد أخذ تعريف الصوت وعلاقته بالحرف عند العلماء قديما وحديثا عدة مناح، قد لا تبدو متناقضة في كثير من الاحيان، لكنها متباينة في معظمها. وإذا أمعنا النظر جيدا في كل تعريف من هذه التعريفات نجده يركز على ظاهرة معينة تشكل جانبا من جوانب كيان الصوت، أو نجد مفهوم الصوت ضمن التطرق إلى آليات انتاجه كما هو الحال عند الخليل وسيبويه. لذلك لابد إذا ما أردنا أن نلم بالظاهرة الصوتية من حيث الماهية أن نستجمع كل هذه التعريفات للوصول إلى مفهوم عام وشامل للصوت. وقبل أن نغوص في ما أشرنا إليه لابد من تحديد المفاهيم الأولية لهذين المصطلحين من الناحية اللغوية.

مفهوم الصوت لغويا :

جاء في لسن العرب أن الصوت من " **صات يصوت ويصات صوتا، وأصات، وصوت به : كله نادى.** "[1]

وهو على تقدير كثير من العلماء " **عام ولا يختص، يقال : صوت الإنسان وصوت الحمار**"[2]

وقد ورد ذلك في قول الله تعالى :﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾[3]، وجاء في الشعر العربي قول الشاعر الراجز:

كأنما أصواتها في الوادي أصوات حج من عمان غاد[4]

وقال جرير بن عطية :

---

1 لسان العرب، ابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مج4، ج 28، ص 2521

2 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص 15

3 سورة لقمان، الآية 19

4 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 15

لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس[1]

والصوت بالبداهة والحس العربي المرهف جنسه مذكر، إلا أنه ورد في كثير من الأحيان مؤنثا، " على ضرب من التأويل "[2] ومما قيل في ذلك قول رويشد بن كثير الطائي :

يا أيها الراكب المزجي مطيته بلغ بني أسد ما هذه الصوت[3]

وتأويل التأنيث انه " أراد به الضوضاء والجلبة، على معنى الصيحة "[4] وهو نفس ما أشار إليه ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة معتبرا أنه " أراد الاستغاثة "[5] وقد استدل بما حكاه الأصمعي في هذا الباب وهو مشهور.

مفهوم الحرف لغة :

جاء في لسان العرب مادة (ح-ر-ف) " الحرف في الأصل : الطرف و الجانب "[6]، وقد لا تخرج دلالات كل الألفاظ المشتقة من هذا الجذر عن هذه الدلالة الواردة في لسان العرب، "ومن ذلك حرف السيف إنما هو حده وناحيته، وطعام حريف : يراد به الحدة، ورجل محارَف أي محدود عن الكسب، وقولهم : انحرف فلان عن فلان، أي جعل بينه وبينه حدا بعيدا."[7] وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾[8] أن الحرف مقصود به " على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل ؛ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر."[9]

وقد ذكر الخفاجي سبب تسمية حروف الهجاء بهذا الاسم لأنها " حد منقطع الصوت "[10] وذكر أقوالا لعلماء خاضوا في هذا المجال منها " سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته."[11]

1المصدر نفسه

2المصدر نفسه

3 لسان العرب، ابن منظور، مج4، ج 28، ص 2521

4المصدر نفسه

5 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 15

6 لسان العرب، ابن منظور، مج2، ج10، ص 838

7 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 23

8سورة الحج الآية 11

9 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد عوض، و د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج4، ص 179

10 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 23

11المصدر نفسه.

فأما قولهم في القراءة حرف أبي عمرو من القراء وغيره، فقد قيل فيه "**إن المراد أن الحرف كالحد ما بين القراءتين، وقيل أيضا : إن الحرف في هذا القول المراد به الحروف.** "[1] وشرح هذا القول قائلا والمعنى " **أن القارئ يؤدي حروف أبي عمرو بأعيانها من غير زيادة ولا نقصان.**"[2]

ومن الألفاظ الدالة على المعنى المذكور تسمية الناقة الضامر حرفا، فقد قيل "**أي أنها قد حددت أعطافها بالضمر،وقال أبو العباس أحمد بن يحي : لأنها انحرفت عن السمن، وقال غيره: شبهت بحرف الجبل في الشدة والصلابة ، وزعم بعضهم أنها شبهت بحرف السيف في مضائه.**"[3]

وسمي نشاط الإنسان الذي يكسب منه ماله حرفة " **لأنه الجهة التي انحرف إليها.**"[4]

والتحريف في اللغة الميل والانحراف، قال الله تعالى : ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾[5]فقد جاء في تفسير هذه الأية " **يميلونه عنها ويزيلونه** "[6] وفي هذا دلالة على الابتعاد عن الوسط والقلب وبالتالي يكون على الحد والطرف، إن لم يكن خارجا أصلا.

أما بخصوص تسمية حروف المعاني في اللغة العربية، فإن السبب - في زعم الواضع حسب قول ابن سنان الخفاجي– " **لأنها تأتي في أول الكلام وآخره، فصارت كالحروف والحدود له، وقد قال بعضهم : إنما سميت حروفا لانحرافها عن الاسماء والأفعال.**"[7]

أما بخصوص تسمية حروف المباني بحروف المعجم،" **أن المعجم بمنزلة الاعجام،**"[8] كما تقول "**أدخلته مدخلا؛ أي إدخالا.**"[9] وعلى هذا الوجه يمكن اعتبارها على سبيل **حروف الاعجام.** إلا أن ابن جني لم يجز هذا حسب ما ذكره الخفاجي[10] لأنه يرى أن القياس غير مطابق لقولهم " **حروف المعجم – بمنزلة قولهم – صلاة الأولى، ومسجد الجامع- قال : لأن معنى ذلك صلاة الفريضة الأولى، ومسجد اليوم الجامع، فها صفتان حذف موصوفاهما وأقيما مقامهما، وليس كذلك – حروف المعجم –لأنه ليس معناه حروف الكلام المعجم، ولا حروف اللفظ المعجم.**"[11]

1سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي.

2المصدر نفسه.

3المصدر نفسه.

4المصدر نفسه.

5 سورة النساء الآية 46 / سورة المائدة الآية 13

6 الكشاف، للزمخشري ، ج2، ص 86

7 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 24

8 الكامل، أبو العباس المبرد، ت : محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط3، 1997، ج1،

9سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 24

10 انظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 25

11المصدر نفسه

إلا أن ابن سنان الخفاجي يرى أن القياس يكون ولكن من جهة أخرى، يقول " **وليس يبعد عندي ما أنكره ابو الفتح، بل يجوز أن يكون التقدير : حروف الخط المعجم، لأن الخط العربي فيه أشكال متفقة لحروف مختلفة عجم بعضها دون بعض ليزول اللبس ، وقد يتفق في غيرها من الخطوط أن تختلف أشكال الحروف فلا يحتاج إلى النقط، فوصف الخط العربي بأنه معجم لهذه العلة ، وقيل – حروف المعجم –أي حروف الخط المعجم، كما يقال - حروف العربي – أي حروف الخط العربي.**"[1]

الصوت والحرف من الناحية الاصطلاحية :

من الأمور التي يمكن أن نأخذها على علمائنا الأجلاء من حيث منهجية البحث العلمي، أنهم قاموا بالدراسات اللغوية ككل متداخل غير مفصول بين جزئياته، ولعلها الثغرة التي تسلل منها المحدثون من الغرب بدأ من دراسات المستشرقين، للتسلق على منجزاتهم وجهودهم ونسبها لأنفسهم، من خلال عملية التقنين والتصنيف والتحديد والتفهيم لمركبات الدراسات اللغوية. لكن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا على دراية بذلك على الأقل عند المنصفين ممن طالعوا أعمالهم وحاكوا مخطوطاتهم.

والدرس الصوتي كغيره من مركبات الدرس اللغوي كان من بين القضايا التي لم يفرد لها مجال خاص، على الرغم من أن كبار العلماء المحدثين أشاروا إلى أنه لم يسبق الغرب في الدرس الفونولوجي غير الهنود والعرب لأن دراساتهم الصوتية ارتبطت بلغتين مقدستين اللغة السنسكريتية واللغة العربية.[2]

وممن جسدوا هذه النظرية سيبويه (ت 180 هـ)، فقد تحدث عن الصوت وهو يتحدث عن ظاهرة الادغام، فتعريفه للإدغام استوجب عنده الحديث عن تشكل الصوت داخل تجويف جهاز التصويت، فقد ذكر حين تحدث عن المجهور والمهموس من الأصوات أن " **المجهورة (أي الأصوات) حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. ..... وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه.**"[3]

فهو جعل من الصوت مجرد وسيلة لدراسة ظاهرة في مستوى أعلى - المستوى المورفولوجي - أي بنية الكلمة، وليس هذا بمشين لأن العلاقة بين المستويات اللغوية علاقة عضوية كل مستوى يعتمد على المستوى الذي هو أدنى منه، كما يعتمد على المستوى الذي هو أعلى منه.

ألا ترى في إعراب كلمة " **يجري** " أنك تتأرجح بين ثلاث مستويات، فقولك في **المستوى التركيب يفعل مضارع للدلالة على الزمن الحاضر** في نفس الوقت تقيسه على مثيله الاسمي الذي يشابهه وبذلك أنت في **المستوى الصرفي**، ثم قولك **مرفوع بالضمة**، عودة إلى **المستوى النحوي التركيبي** للدلالة

1سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي

2ينظر : دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص 67

3سيبويه، الكتاب، ت : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1982 ، ج4، ص 434

على طبيعة الحدث الذي لا جزم ولا نفي فيه وهو الثبات والتجدد، ثم قولك **المقدرة على آخره** عودة إلى **المستوى الصرفي** فأنت تقدر على الصيغة الصرفية التي تماثل هذا الفعل المعتل والفعل الصحيح والتي هي يفعل، ثم قولك **منع من ظهورها الثقل** فأنت في **المستوى الفونولوجي** للدلالة على ظاهرة صوتية.

والصوت عند الجاحظ (ت 255 هـ) " **آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف،**"[1] فقد جمع بين مفهومي الصوت والحرف في هذه العبارة الموجزة، فالصوت هو الأداة المستخدمة في إحداث المادة، والحرف هو الاقتطاع من الصوت.

أما ابن جني (ت 392 هـ) فكان على دراية باستقلالية هذه القضايا الصرفية عن غيرها من القضايا اللغوية إلا انه لم يتخلص من عملية الإدماج، فهو تحدث عن الصوت باعتباره مادة خام للكلام ومنه يقتطع الحرف، فقد ذكر في " **أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له** حرفا."[2]

في هذا التعريف نرى بوضوح الفرق بين الصوت والحرف، إذ أن ابن جني يرى أن الحرف بعض الصوت ومنه يتشكل وهذا ما يقول به الدرس اللغوي الحديث.

غير ان الجديد والخروج على المألوف في الدرس اللغوي القديم ما جاء به الشيخ الرئيس ابن سينا (ت 428 هـ)، إذ انه غير في منهجية البحث العلمي، فهو لم يكتفي بالتحسس والتصنت كما كان يفعل الخليل ومن جاء بعده، إنما قام بعملية التشريح والوقوف على الأعضاء المنتجة لهذا الكائن المدرك بالسمع، وتوصل إلى تحديد مفهومي الصوت والحرف من خلال كتابه الموسوم برسالة في أسباب حدوث الحروف.

فقد توصل إلى سبب حدوث الصوت والذي أرجعه إلى عمليتين ميكانيكيتين القلع والقرع، فقد قال " **أظن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وقوة من أي سبب كان. والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سببا كليا للصوت، بل كأنه سبب أكثري، ثم إن كان سببا كليا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت.**"[3] والملفت للانتباه في هذا التعريف هو أنه تحدث الصوت بصفة عامة عند الإنسان وغيره، وهو بهذا يشير إلى فرع كبير في الصوتيات وهو الفونتيك.

أما حديثه في الفصل الثاني من رسالته فكان عن الحروف، وهو يقصد بها الأصوات المقتطعة عند الإنسان والمشكلة للحروف، وقد ركز في هذه العملية على تموج الهواء داخل التجويف المتشكل

1الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص 79

2ابن جني (ت392هـ)، سر صناعة الاعراب، ت : د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1، ص 6

3ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ت: محمد حسان الطيان، يحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د ط، د ت، ص 56

من حركة أعضاء التصويت، وقد قسم حالة الهواء المتوج والمحدث للصوت إلى جانبين أو مرحلتين يتم من خلالها إنشاء المادة الخام التي سيتشكل منها الحرف في الأولى ثم في المرحلة الثانية التي يقتطع فيها الحرف مما أشرنا إليه كمادة خام.

ففي المرحلة الأولى تتشكل مادة الصوت من خلال عملية فسيولوجية مصاحبة لعملية الشهيق والزفير، فالهواء المدفوع من الرئتين يملأ التجويف الداخلي الذي يتشكل وفق الحرف المراد إخراجه؛ إذ أن ذلك يعتمد على استعداد الأعضاء التي تشارك في هذه الحرف للقيام بدورها من الوضعية الصفرية، وبذلك يمكن رصد عدة تجاويف مملوءة بالهواء وفق الحرف المراد إنشاؤه، وقد قال بخصوص هذه المرحلة " **أما نفس المتموج فإنه يفعل الصوت، وأما حال المتموج في نفسه من اتصال أجزائه وتملسها، أو تشظيها وتشذيها فيفعل الحدة والثقل،** "[1] وقد ارجع **الحدة** إلى اتصال أجزاء الهواء، و أرجع **الثقل** إلى حالة الهواء بعد تحرره من الحبسة عند العضو النهائي في إخراج الحرف.

أما المرحلة الثانية فتبدأ من انتهاء الأولى وهو إنتاج الحرف من خلال اعتراض الأعضاء أو التضييق على الهواء، بحيث أن وضعية الأعضاء وحركتهم هي القالب الذي يقتطع منه الحرف، لذلك قال عن الحرف أنه " **هيئة للصوت عارضة له تميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع.**"[2]

وقد بين ذلك عندما قسم الحروف إلى قسمين " **بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة،**"[3] وهذا ما يعبر عنه بالحروف الانفجارية في الدرس الصوتي الحديث الذي يكون فيه اعتراض العضو المصوت للهواء اعتراضا كليا، أما القسم الثاني حروف " **مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع إطلاقات،**"[4] وهي ما تعرف حديثا بالأصوات الاحتكاكية.

كما حدد هاتين المجموعتين بقوله " **والحروف المفردة هي : الباء، والتاء، والجيم، والدال، والضاد أيضا من وجه، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون أيضا من وجه.**"[5] وأما ما تبقى من الحروف فهي مركبة على حد قوله.

---

1 ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص 59
2المصدر نفسه
3المصدر نفسه
4المصدر نفسه
5المصدر نفسه

أما ابن سنان الخفاجي (ت466 هـ) فتعريفه للصوت أخذ منحى فلسفيا، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أنه علم من أعلام المعتزلة التي تنظر بالعقل إلى كل الأمور وتجعله؛ أي العقل، في منزلة عالية من النقل، فالصوت عنده " **معقول، لأنه يدرك، ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عرض ليس بجسم، ولا صفة لجسم، والدليل على أنه ليس بجسم ، أنه مدرك بحاسة السمع، والأجسام متماثلة، والإدراك إنما يتعلق بأخص صفات الذوات، فلو كان جسما لكانت الأجسام جميعها مدركة بالسمع، وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أن الصوت ليس بجسم.**"[1]

فهو لم يصف الصوت فحسب؛ بل ذهب إلى ماهيته وكنهه، خاصة عندما أحالنا إلى خصائص الأجسام التي تدرك بأخص صفاتها، والتي من خصائصها الثبات والدوام، وهو ما لم يكن مع الصوت، وبذلك استثناه من كونه جسما، واستدل بذلك إلى أن حاسة السمع التي يدرك بها الصوت، ليس منفذ الإدراك للأجسام.

ثم نقل لنا عملية إنتاج الصوت نقلا حرفيا مما قال به الأولون، من خلال قوله أن " **الصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا.**"[2]

أما الحروف عنده " **تختلف باختلاف مقاطع الصوت،**"[3]وأشار إلى أن عملية إنتاج الحروف تشبه عملية إنتاج الأصوات المختلفة من الأجهزة الموسيقية، وذلك من خلال حركة الأنامل على فتحات الأجهزة، " **فكذلك إذا وقع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف.**"[4]

أما المحدثون فقد نظروا إلى الصوت من الناحية الوظيفية على أساس أنه " **أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق،**"[5]والملفت للانتباه في هذا التعريف هو أن الصوت يتشكل وينتقل ويفهم وفق مراحل ثلاث؛ مرحلة الإنتاج، ومرحلة الانتقال، ومرحلة الإدراك أو الاستقبال، وهذه المراحل تدرس في ما يسمى بعلم الفونتيك الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة فروع؛ علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي.

---

1 ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص 15

2 المصدر نفسه ص 15

3المصدر نفسه

4المصدر نفسه

5كمال بشر، علم الاصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000، ص 119

أما تمام حسن فقد عرف الصوت على أساس انه " **عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر وإرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن.**"[1] وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عما قاله كمال بشر، سوى أنه زاد في إشارة منه إلى مصدر الصوت.

ولكن قبل أن يحدد هذا المفهوم رأى أنه لابد من التفريق بين ثلاث مصطلحات لها علاقة وطيدة بالمفهوم العام للصوت، وذكر أنه لابد من التفريق بين مفهوماتها على النحو التالي :

1. الجرس ونقصد به ما يقصد بالكلمة الانجليزية Noise.
2. الحس ونقصد به معنى الكلمة الانجليزية Voice .
3. الصوت والمراد به معنى الاصطلاح الانجليزي Sound."[2]

وقد أسهب في شرحه لهذه المصطلحات الثلاثة، فالجرس اعتبره " **أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقر على الخشب .... والحس ما نطقه جهاز صوتي حي وبخاصة الجهاز النطقي الانساني؛ فمعناه إذا ضيق محدود لا يشتمل في دلالته على معنى الصوت اللغوي لأن الحركات العضوية لا تدخل في مفهوم الصوت اللغوي....**"[3] أما الصوت بالمعنى العام (الذي يشمل اللغوي وغير اللغوي) فهو " **الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا.**"[4]

كما انه اشترط في الوقوف على ماهية الصوت بهذا المعنى السالف الذكر التفريق بين المصطلحات الثلاثة المتعلقة بالصوت ذاته وهي :

1. درجة الصوت. Pitch (سمكه أو دقته – عدد الذبذبات في وقت معين يحدد بالثانية : إذا كثر عدد الذبذبات كان الصوت دقيقا، وإذا قل كان الصوت سميكا.)
2. علو الصوت Loudness (المدى الذي يصل إليه مصدر الذبذبة: إذا اتسع المدى كان الصوت عاليا، وإذا ضاق كان الصوت منخفضا. يتوقف عل كمية الهواء.)
3. قيمة الصوت Quality or timbre. (أثره السار أو المنفر في الاذن."[5]

1تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1994، ص 66

2ينظر تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 59

3المصدر نفسه

4المصدر نفسه

5المصدر نفسه

علاقة الصيغة الصرفية بالمستوى الفونولوجي

من الإشكالات التي ظلت قائمة في الدراسات اللغوية القديمة سواء عندنا نحن العرب أو غيرنا هو ماهية حروف العلة عندما لا تكون مد، أو ما يطلق عليه في تراثنا بحروف اللين. فقد عرفت حروف العلة كونها حروف مد إذا تجانست وحركة الحرف الذي قبلها، وعرفت حروف لين إذا لم يكون ها التجانس. كذلك من الإشكالات وصف الحركات، فقد اعتبرت مجرد هيئات للصوامت، ولذلك نجدها في النظام الخطي الكتابي قد أخرجت ووضعت فوق الصامت، وهذا دليل على أننا لم نكن نعلم أن الحركات أصوات، وقد ترتب على هذا خلط بين المدود والحركات؛ إذ أن المدود أدرجت في النظام الخطي، وهذا فيه إشارة إلى أن الحركات مفصول بينها وبين الحروف التي من جنسها، أي الفتحة مفصولة عن ألف المد وكذا الضمة بالنسبة للواو والكسرة بالنسبة للياء.

ولكننا عندما نأتي للدرس الصوتي الحديث ومن خلال الأجهزة المتطورة اكتشفنا أن الألف والواو والكسرة ما هي إلا حركات طويلة. فإذا عدنا إلى مفهومنا الكلاسيكي للحركات وطبقناه على الاعتبارات التي تعترض الميزان الصرفي كالإدغام والإعلال لوجدنا بعض الأوصاف غير صحيحة. ففي قلب الواو والياء ألفا نجد أنه إذا تحركتا وانفتح ما قبلها قلبتا ألف كما في " قال " و " باع " فأصلها " قول " و " بيع "[1]

أي أن لفظة " **قال** " كانت على الشكل التالي : " **ق و ل** " فقلبت الواو ألفا فصارت " **ق ا ل** " وصار **إعلالا بالقلب**. لكن لو أمعنا النظر جيدا في حركة الواو أين ذهبت، لقد تجاهلناها، هذا من جهة، من جهة أخرى الواو هنا كانت لينة أي تحتمل الحركة، أما الألف الناتجة فهي مد لا تحتمل الحركة، إذا نجد أنه هناك قلب وحذف، حذفنا حركة الواو فأصبحت مثل المد فما كان إلا أن تجانس الحركة التي قبلها وهي الفتحة فقلبت ألفا، لكن ما علة حذف الحركة ؟ لا علة تذكر هنا. كل هذا سببه المفهوم الخاطئ عن علاقة الحركة بالصامت المرافقة له.

إذا عدنا لما توصل إليه في الدرس الحديث من خلال اعتبار الألف قالواو والياء حركات طويلة فسيتغير كل شيء :

- أصل " قول " ق َ و َ ل َ إذا كتبناها وفق الكتابة الصوتية العالمية نجدها : qawala
- أصل " قال " ق َ ل َ إذا كتبناها وفق الكتابة الصوتية العالمية نجدها : qaala

[1] ينظر: حاشية الصبان على الاشموني، محمد بن علي الصبان، مطبعة الحلبي، مصر، دط، 1329 هـ، ج 4، ص 317

فإذا قارنا بين الأصوات التي في الأصل والأصوات التي فيما نتج نجد أن صوتا حذف وليس قلب، وبالتالي فإن الإعلال هنا **إعلال بالحذف**، وليس بالقلب.[1] أي حذف الواو وحركتها وحركة القاف هما اللذان شكلا الألف، لأن الألف ما هو إلا فتحة طويلة.

لكن هذا أشار إليه كثير من علمائنا ولكن لم يؤخذ بعين الاعتبار، فقد ذكر ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف أن للواو والياء قيمتين صوتيتين مختلفتين، فقد قال: " **وأما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه سطح الشفه.**

وأما الياء الصامتة فإنها تحدث حين تحدث السين والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرا. "[2] فهو هنا يشير إلى كونهما حروف لين أي تخلصا من مخرجهما الأصلي الذي ذكره الخليل وهو الجوف، فقد أصبحا ضمن الأحياز الثانية للصوائت، وبالتحديد الشفوي بالنسبة للواو، والأسلي بالنسبة للياء مع بعض التغييرات في الأعضاء وهو شأنه شأن بقية الأصوات ذات الفئة المخرجية الواحدة.

أما القيمة الثانية والتي أدرج فيها الالف معها فقد قال " ..... **وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق.**

وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل."[3]

وليس هذا فحسب؛ بل كان يدرك أن للحركات زمن نطق وهذا ما يوحي إلى أن ابن سينا أدرك انفصال الحركة عن الصامت، فقد قال بخصوص حروف العلة كونها مد " ..... **أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف.**"[4] وقد ذكر ذلك بالنسبة للواو والياء وعلاقتيهما بالضمة والكسرة.

موسيقى الكلام وأثرها في تشكيل الدلالة :

إن الكتابة فعل حضاري حداثي، فالأصل في اللغة النطق، فقد وُجد الإنسانُ و اللغةُ منذ أن خُلق على هذه المعمورة، فقد قال تعالى :" **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي**

---

[1] ينظر : محاضرات مرئية للأستاذ الدكتور سعيد شواهنة، جامعة النجاح الوطني، محاضرات في علم الفونولوجيا
http://videos.najah.edu/node/2609

[2] أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ت: محمد حسان الطيان و يحي مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط،دت، ص 84

[3] أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 85

[4] المصدر نفسه

بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[1]، وقد لجأ الإنسان إلى هذا الاكتشاف ليخلد كلامه وينقله إلى الأجيال من بعده، إلا أن رغبته في هذا لم تتحقق بالقدر الكافي؛ إذ أن هذه الحاملة باتت غير قادرة على حمل نطقه، فالحروف التي اعتبرت أجسادا للأصوات إنما وقع واضعوها في الوهم، لأن الحرف باعتباره رمزا ودليلا على النطق؛ إنما كان في الوقت نفسه حاملا لمجموعة من الأصوات، ولعل هذه القضية شدت أذهان القدامى قبل المحدثين؛ إلا أنهم لم يثبتوا ولم يرسوا على بيان شافي كافي، وقد بدا ذلك جليا في التباين الذي لوحظ من علم إلى آخر، فقد نقل الليث عن الخليل قوله " **في العربية تسعة وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة. والهمزة.**"[2]

في حين نجد المبرد قد خالف هذا الرأي بفارق بين، فقد ذكر أن " **الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور.**"[3] ولكن هذا الاختلاف يحيلنا إلى ما يسمى في الدرس الحديث بنظرية الفونيم، وهو في الوقت ذاته تفطن القدامى إلى الفرق بين الحرف والصوت كما أشرنا سابقا. كما يمكن ملاحظة أن تعداد الحروف التي لها صور عنده ناقصة مقارنة بما قاله من جاؤوا قبله وحتى من بعده، فقد أسقط الهمزة باعتبارها غير ثابتة على هيئة، وهنا يكون المبرد قد وصف المكتوب لا المنطوق وهو ما فنده ابن عصور واعتبره رأيا فاسدا، وهو الأمر الذي ذكره الزمخشري أيضا.[4]

والملفت للانتباه هو أن الغموض الذي شمل الحيز الفارق بين الحرف والصوت أدى إلى هذا التضارب في تحديد المنظومة الصوتية، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال ما توصل إليه الدرس الصوتي الحديث مستعينا بجملة من الأجهزة والآلات الدقيقة في ضبط كل منطوق من كلام الإنسان، فاتضح أن هناك فرق شاسع بين الحرف والصوت، وعرف ذلك بالفونيم، وقد ذكر هذا التحديد عبد الصبور شاهين نقلا عن دي سوسير فأنه " **مجموع التأثيرات السمعية، والحركات النطقية للوحدات المسموعة والوحدات المنطوقة.**"[5]

وقد اختلف كثيرا في ضبط مفهوم الفونيم، إلا ان معالمه تتضح كونه أصغر وحدة صوتية بإمكانها إحداث تغيير دلالة لفظة اختلف فونيم على الأقل داخلها.

1سورة البقرة الآية 31

2كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السمرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د ط، د ت، ج1، ص 57

3المقتضب، المبرد، ت: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت، ج1، ص 192

4ينظر : الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج 2، ص 663 – شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 126

5في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1980، ص 119

ويرى إبراهيم أنيس أن اللغة العربية تتكون من أربعة وثلاثين فونيما، موزعة على ثلاث فئات: ستة وعشرون للصوامت، وستة فونيمات للحركات القصيرة والطويلة، وفونيمان لأنصاف الحركات.[1]

وليس الفونيم سوى هيئة للصائت أو الصامت؛ إنما هو أكثر من ذلك، فالإيقاع المرافق للصوت ذاته يعد فونيما؛ إذ بإمكانه أن يغير معنى الكلام، وهذا الإيقاع يكون على مستوى اللفظ كما يكون على مستوى الجملة، ومن أمثلة ذلك :

الوقف : ويسمى الحبس[2] كذلك وهو السكوت عند صوت ما يجعل ما سبق مفهوما، ويجعل ما سيلحق مفصولا عما سبق حتى لا يقع الخطأ أو تداخل المعاني في بعضها البعض، ومن ذلك قوله تعالى : "**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**"[3]فالوقف لابد ان يكون عند التوراة ثم يستأنف الكلام ليتضح المعنى كون الصفات المذكورة قبل التوراة ذكرت في التوراة، والصفات المذكورة بعدها ذكرت في الانجيل، ولو كان الوقف عندالانجيل لفهم أن الصفات التي ذكرت قبل التوراة ذكرت في التوراة والانجيل، ثم يفهم من الصفات التي ذكرت في الانجيل على أساس أنها تشبيه للصفات السابقة. فحتى وإن لم يختل المعنى فالمعاني لم تنسب إلى مصادرها الأصلية. فالوقف كان بمثابة فونيما حدد المعنى.

التنغيم : وهو " **ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام** "[4]وهو دلالة على أن الكلام لا يأتي على وتيرة واحدة، فالمقطع في اللفظ الواحد قد يختلف من حال إلى حال الاستفهام والتعجب والإخبار.

إلا أن تحديد هذا الاختلاف ليس بالأمر السهل؛ إذ يمكن استشعار ذلك لكن يصعب تحديد موطن الاختلاف، لأن معظم أمثلة التنغيم في العربية غير تمييزية[5]، ولكن على الرغم من ذلك إلا أن علماءنا أشاروا إليه حتى ولو لم يحددوا مفهومه.[6]

1ينظر : الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975، ص 23

2التعريفات، الجرجاني، مطبعة محمد أسد، القسطنطينية، د ط، د ت، ص 274

3سورة الفتح الآية 29

4مناهج البحث في اللغة، تمام حسن، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 198.

5دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1976، ص 310

6ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985، ص 106

والتنغيم ظاهرة لابد منها لأن التطبيق الفعلي للغة تصاحبه حالات انفعالية مختلفة، فقد يكون المتكلم مادحا أو هاجيا أو ممتعضا أو يكون متعجبا أو مستفسرا إلى غيرها ذلك من الحالات، والنظام الحرفي للغة غير قادر على تمثيل هذه الحالات بالرغم مما أدرج من علامات الوقف والترقيم.

ومما يمكن التمثيل به ها هنا ما ذكره السيوطي عما دار بين اليزيدي والكسائي بحضرة الرشيد؛ إذ قال الأول للثاني : انظر أفي هذا الشعر عيب ؟ و أنشده :

ما رأينا خربا نفر عنه البيض صفر

لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي : قد أقوى الشاعر، فقال اليزيدي : أنظر فيه، فقال : أقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر ليكون ، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال : أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال : المهر مهر.[1] وعليه تكون جملة (لا يكون) الثانية توكيد للجملة الأولى (لا يكون العير مهرا)، وبالتالي تقدير الكلام، (لا يكون العير مهرا، لا يكون- أي العير مهرا – ثم يبتدأ الكلام من جديد فيقول : المهر مهر)، فكل هذا التوضيح ينوب عنه التنغيم والوقف عند كلمة لا يكون الثانية.

النبر : هو وضوح يتميز به صوت أو مقطع عن بقية الأصوات أو المقاطع المتجاورة في البناء اللفظي.[2]

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : " **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** "[3] الفعل سقى يسقي، فإذا قرأت الآية من دون نبر المقطع الثاني أي السين و الحركة، لسمعنا الفعل فسق من الفسوق.[4]

التمثيل المقطعي : ف َ س َ ق َ – ص ح / ص ح / ص ح ح النبر يكون في المقطع الثاني (س)

ومثاله قوله تعالى : " **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** "[5] الفعل سعى يسعى، فإذا قرئت الآية من دون نبر المقطع الثاني أي الفعل، لسمعنا الفعل وسعمن السعة والاتساع.

1الأشباه والنظائر، السيوطي، ت: ابراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية، دط، 1986، ج3، ص 245

2مناهج البحث في اللغة، تمام حسن، ص 194

3سورة القصص الآية 24

4مستقبل الثقافة العربية، محمود الطناحي، كتاب الهلال، سلسلة ثقافية شهرية، ص 117-119

5سورة الإسراء الآية 19

خاتمة :

ما يمكن الوقوف عليه من خلال هذا البحث، هو أن :

لا يمكن إحداث فعل التواصل إلا من خلال إجراء نظام توافقي بين الثالثوث المشكل للظاهرة اللغوية (الباث/الخطاب/المتلقي).

التواصل ينبني على علاقات إما متباينة أو غامرة بين مجموعتي التقابل، لكن من المستحيل أن تكون العلاقة تقابلية، لذلك يلجأ الباث أو المتلقي من خلال إرسال أو استقبال الخطاب إلى آليات خارج النص.

إن التحكم الفعال في آليات اللغة الداخلية يسهل على كل من الباث والمتلقي أن يحيل فكره إلى المرجع الخارجي من دون المساس بمقصدية الخطاب (خلق فضاء احتمالات من شأنه أن يكون أحد مشيرات الخطاب).

لقد ناقشنا ثنائية واحدة من بين جملة من الثنائيات في النظام التواصلي، التي كنت أشرت لها في مقدمة البحث، لأنني بصدد بحث كل ثنائية على حدى، ثم إجراء عمل تكاملي لتتضح الوظيفة التواصلية جلية من خلال ما سنرصده من نتائج هامة ان شاء الله.

ولا يسعني في هذه الخاتمة إلا أن أكون قد أفدت واستفدت ولو بالقليل، وأسأل الله أن يكون في صالح الأعمال، والى لقاء آخر ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السمرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د ط، د ت،

سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982

ابن جني، سر صناعة الاعراب، ت : د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993

ابن جني، الخصائص،ت : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د ت،

الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998

المبرد، المقتضب، ت: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت،

المبرد أبو العباس ،الكامل، ت: محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة، القاهرة،ط3، 1997

الزمخشري، الكشاف عن حائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد عوض، وآخر مشارك د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998

الجرجاني، التعريفات، مطبعة محمد أسد، القسطنطينية، د ط، د ت،

السيوطي، الأشباه والنظائر، ت: ابراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية، دط، 1986

ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982

ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ت: محمد حسان الطيان، يحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د ط

ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة

صحيح سنن ابن ماجه - 13560المشرف : الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج – ط1، 1407 هـ

محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على الاشموني، مطبعة الحلبي، مصر، دط، 1329 هـ

سيد قطب، محمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، ط 1، 1996

كمال بشر، علم الاصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000

كمال بشر، دراسات في علم اللغة،

د.ميجان الرويلي ود.سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002،

تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1994

تمام حسن، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء

رومان جاكبسون وموريس هالة، أساسيات اللغة، ت : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي

عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1980،

محمود الطناحي مستقبل الثقافة العربية، ، كتاب الهلال، سلسلة ثقافية شهرية،

أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1976

رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985

ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975

محاضرات مرئية للأستاذ الدكتور سعيد شواهنة، جامعة النجاح الوطني، محاضرات في علم الفونولوجيا http://videos.najah.edu/node/2989

JAKOBSON، R. : « Linguistique et poétique »، Essais de linguistique générale، Paris، Minuit، 1963، p. 209-248